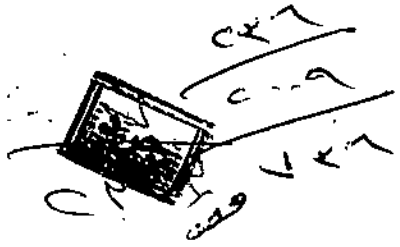

الجامعة الأردنية

كلية الشريعة

قسم أصول الدين : شعبة التفسير

الحجج العقلية

* *

لأولي العزم من الرسل

في القرآن الكريم

٢٨٢٩٢

اعداد

الطالب: أحمد سليمان العوض

باشراف

فضيلة الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة التخصص (الماجستير) بقسم أصول الدين في كلية الشريعة - شعبة التفسير

١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وجعله كتابا قيما لا تضطرب به الأفهام ولا تلتوى به الألسن ، قولا فصلا ، ليس بالهزل ، بينا مبينا ميسرا للذكر لمن أراد أن يذكر .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الذى جعله الله خاتم أنبيائه وسيد أوليائه ، وأرسله هاديا ومبشرا ونذيرا ، ورحمة للعالمين ، ومنقذا للحائرين فدعا الناس الى ربهم بالحكمة والحجة والموعظة حتى فتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

وبعد : فلما كان القرآن العظيم كتاب هداية للبشرية ، وخاتم الرسالات السماوية ، منزلا على خاتم الرسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قد جعله الله تعالى تبيانا لكل شيء ، كاشفا لمنهج الحق ، ميسرا لألسن الخلق ، قريبا من عقولهم ومداركهم ، رحمة وتلطفا بهم ليتبعوا صراط ربهم على نور وبصيرة .

ولذا أنزل القرآن الكريم العقل منزلة رفيعة فجعله مناط خطاب الله الجليل العظيم لهذا الانسان المخلوق الضعيف ، فسلك به سبيل الاقناع بالحجة والبرهان لينقاد الى الحق رغبة ورهبة دون اكراه أو ارغام ، فهذا سبيل التفضيل والتكريم للانسان .

وقد حدثنا القرآن العظيم عن قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واحوالهم مع أممهم وأقوامهم . وما عانوا من المصاعب لأداء الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، وترسيخ العقيدة التي لا تؤتي أكلها ، ولا تجني ثمارها الا بتلقيها بالقلوب ، وأخذها باليقين والتصديق .

ومن هنا وجدنا دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام قد اشتملت على البراهين القاطعة بصحة ما جاءوا به ، والحجج الدامغة لما يثيره الخصوم المعاندون من مجادلات لتنقلب شبهاتهم خاسئة حسيرة ، منتصرين لدعوة الله عز وجل ، مشفقين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على عباد الله بتصحيح مفاهيمهم ، وتصفية أذهانهم ، والنصيحة لهم لقبول أعظم ضرورة يحتاج اليها الانسان .

ولقد أمدهم الله تعالى للقيام بهذه المهمة الشاقة المضنية بما وهبهم من العلم الالهي ، والبصائر المتوقدة ، والقلوب الواعية ، والعقول النيرة ، فكانوا أكثر الناس فطانة وأسرعهم بديهة وأرجحهم عقلا مع وضوح الغاية واحاطة بالوسيلة .

وبما ان طلاب العلم الشرعي مطالبون بالاقتداء بالرسل عامة ، وسيدهم وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة في مجاجة الخصوم واقناعهم بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، رغبت جمع الآيات الكريمات التي تحدثت عن الحوار والجدال بين الرسل وأقوامهم لاكشف عن وجوه الاحتجاج ، وأوضح جوانبها ، مكتفيا بالحجج العقلية دون المعجزات الحسية ، واقتصرت على حجج أولي العزم من الرسل لأن فيها من التنوع والكثرة ما يغطي جوانب كثيرة من أدلة القرآن على أهم القضايا الايمانية ، ولاحتوائها على صنوف عديدة من ألوان الفكر البشري ، والعقائد التي اعتقدها كثير من الناس على مر التاريخ .

وكان الدافع الى اختيار هذا البحث عدة أسباب :

الأول : ابراز كثير مما حواه القرآن الكريم من الأدلة العقلية الملزمة القاطعة لأباطيل من يرد حجج القرآن بحجة انه لايؤمن بالقرآن ، فيطالب بحجج عقلية من خارج القرآن ، مع انه يحتوى على أدلة وبراهين ساطعة لو أخذت مجردة عن أنها من القرآن أو من غيره لكانت كافية .

الثاني : شدة الرغبة في عرض أدلة القرآن الكريم باسلوب واضح ميسور لتقريبه من أذهان العامة والخاصة بعيدا عما أثقلت به العقيدة من أدلة تأثرت الى حد كبير بالفلسفة والجدل الذى يثير كثيرا من الشكوك أكثر مما يدعو الى الاقناع .

الثالث: الرد على من يدعي وحدة الديانتين اليهودية والنصرانية ـ على صورتهما الحاضرة ـ مع الاسلام ، ويتحاشى تكفير أهل الكتاب بحجة أنهم أهل دين سماوى ، وأصحاب كتاب يؤمنون بوجود الله ، وذلك من خلال ابراز ما كان يدعو اليه أنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام بما لايخرج عن دعوة الاسلام ، ليتبين مدى ما هم فيه من البعد عن أصول دينهم مما يقطع ببراءة الأنبياء منهم ووثيق صلتهم بالاسلام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرابع : توخي المنفعة في مجال الدعوة سيما وأن الشبهات التي تعرض للبشر كثيـــرا ما تتكرر وقد تخرج بثوب جديد ، والحقيقة واحدة .

الخامس: وكان أبرز الحوافز التي دفعتني الى اختيار هذا البحث انني لم أجد ـ فيما اطلعت عليه ـ من أفرد هذا الموضوع ببحث خاص ، وان كثرت الكتب التي تتحدث عن قصص الانبياء أو عن الرسل والرسالات أو الجدل ومناهجه في القرآن الكريـم أو غير ذلك مما يشير من قريـب أو بعيد الى هذا الموضوع ، ولكن بتخصيص أولي العزم من الرسل والوقوف بشكل خاص عند مواطن الحوار والنقاش ، وابراز الحجج العقليـة من خلالها هذا لما أعثر عليـه .

وقد جاء البحث في تمهيد وخمسة فصول وخاتمـة ، أذكر محتوياته فيما يلي :

التمهيـد : تحدثت فيه عن أهمية العقل ودوره في تلقي دعوة الانبياء عليهـم السلام . ثم بينت قصور أدلة الفلاسفة والمتكلمين عن الاقناع المؤدى الى الهدايـة واليقين . وأبرزت بعض مميزات الحجج القرآنية المؤدية للوفاء بالغرض .

وأما الفصل الاول : فكان عن الحجج العقلية لنوح عليه السلام ، وقد جعلتـه في ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : في الاحتجاج على الوحدانية .
المبحث الثاني : حول صدق الرسول والرسالـة .
المبحث الثالث: المواقـف الختاميـــــــة .

والفصل الثاني : حجج ابراهيم عليه السلام ، وقد جاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : ابطال ألوهية الكواكـب .
المبحث الثاني : ابطال عبادة الاصنـام .
المبحث الثالث: ابطال ألوهية البشـر .

والفصل الثالث : حجج موسى عليه السلام ، وقد اشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : في محاجّـة فرعون وملئـه .
المبحث الثاني : في محاجّـة بني اسرائيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع : حجج عيسى عليه السلام ، وقد جعلته في مبحثين :

المبحث الأول : فيما جاء في القرآن من كلام عيسى عليه السلام لقومه وما تضمنه من حجج .

المبحث الثاني : في موقف النصارى من المسيح عليه السلام والرد عليهم .

وأما الفصل الخامس: ففي حجج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الأمم وقد اشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : الاستدلال على وحدانية الله تعالى .

المبحث الثاني : الاستدلال على صدق الرسول والرسالة .

المبحث الثالث: الاستدلال على امكان البعث ووقوعه .

المبحث الرابع : اقامة الحجة على أهل الكتاب .

المبحث الخامس: اقامة الحجة على المنافقين .

وأما الخاتمة : فقد اشتملت على خلاصة ما توصلت اليه من نتائج البحث .

هذا وقد كان منهجي في البحث كما يلي :

١ . تتبع الآيات الكريمات التي تحدثت عن أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم :نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، واستخلاص ما احتجوا به على الأمم بما يثبت صدقهم وصحة ما بعثوا به ، أو ما احتج الله تعالى لهم به ، أو أظهره على ألسنة بعض عباده المؤمنين .

٢ . لم اتعرض للمعجزات التي أظهرها الله تعالى على أيديهم عليهم الصلاة والسلام فهي من قبيل الحجج الملزمة للمشاهد المعاصر ، وانما اكتفي بالحجج العقلية التي جرى فيها حوار ونقاش في الاستدلال والالزام .

٣ . حرصت على اظهار ما تقوم به الحجة من الأقوال بما تتفق وروح الآيات البينات مع تجنب قضايا الخلاف ما أمكن .

٤ . لم أتعرض لسرد الوقائع التاريخية والأحداث الزمنية فليس هذا من غرض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحث وان كنت أتعرض لبيان عقائد الامم ومذاهبهم تسهيلا للوصول الى وجـــه الاحتجاج عليهم •

وقد أتعرض لتحليل الحالات النفسية للخصوم لما له من صلة وثيقة بهذا البحث في كشف الدوافع لاتباع الباطل والموانع من امتثال الحق ، وأنبه على صلة ذلك بالواقع •

ه اقف احيانا "عند بعض الآيات فاتوسع في اظهار وجـه" الحجة فيها زيادة على ما تقوم به الحجة على الامم الغابرة ، وذلك لبيان مرونة الالفاظ القرآنية ، واتساعها بمـا لا يخرج عن الحق لاقامة الحجة على أهل هذا العصر بما لا يتعارض مع مستوى ثقافتـه وعلومه ، وذلك لان القرآن يحتج بالحقائق الكونية الثابتة التي تمكن الانسان من الوقوف على شيء منها وان جهل الكثير " وفوق كل ذى علم عليم " •

٦ • اعتمدت كتب التفسير المشتهرة بالدرجة الاولى ، وحاولت ما وسعني الجهـد أن أصوغ العبارة باسلوب سهل ميسور قريب من الاذهان ، وأفدت فائدة عظيمة ممـا كتبه العلماء والمفكرون القدامى والمحدثون مما له صلة بهذا الموضوع •

وعلى كل فمهما حاولت وبذلت من جهد فانما هو جهد المقل ، ولست بمدع ان دراستي هذه قد خلت من الهنات والثغرات ، ولا أزعم لنفسي انني وصلت الـى الكمال في عملي ومنهجي ، فالكمال لله وحده ، والعصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام ، وانني اذ أضع هذا البحث بين أيدى العلماء الناقدين الفاحصين لافيد مـــن توجيهاتهم وأحظى بعبير نفحاتهم في التشجيع للصواب ، والتنبيه للخطأ ، أسـأل الله سبحانه ان يجزل لهم المثوبة ويعلي مقامهم في الدارين •

ولا يسعني في الختام الا ان أشكر فضيلة استاذى الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم ـ وفقه الله تعالى ـ لما أولانيه من عناية واهتمام في متابعة خطوات البحث فـي التوجيه والارشاد والنصح ، فجزاه الله خير الجزاء •

كما لا يفوتني أن أسدى جزيل الشكر ، وعظيم العرفان لاستاذى الفاضلين :

فضيلة الدكتور ابراهيم زيد الكيلانـي

وفضيلة الدكتور فضـل حسن عبـاس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللذين قبلا ـ مشكورين ـ مناقشة الرسالة ، لابداء الملاحظات النافعة ، والتقويمات السديدة .

وأشكر كذلك اساتذتي الفضلاء الذين أفدت من علمهم ، ونهلت من معينهم فجزاهم الله خير الجزاء ،

ولا يسعني في نهاية المطاف الا أن أدعو لكل من أسهم في انجاز البحث وقدم لي يد العون والمساعدة والنصرة .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير . اللهم تقبل مني هذا العمل خالصا لوجهك الكريم ، واجعلني ممن يحملون لواء الدعوة الى الله تعالى ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

والحمد لله رب العالمين .

أحمد سليمان العوض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــــــد

و يتضمن المباحث التاليـة :

أولا : أهمية العقل ودوره في تلقي دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفيـه :

١ • دور السمع والبصر في خدمة العقـــل •

٢ • ضرورة اليقين في العقيـــــــــدة •

ثانيا : أدلـة الفلاســـفة •

ثالثا : أدلـة المتكلميـــن •

رابعا : مميزات الحجج والأدلة القرآنية •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : أهمية العقل ودوره في تلقي دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

ان ابرز مايمتاز به الانسان عن الكائنات التي تشاركه الحياة على هذه الأرض هي خاصية العقل التي بها يكرم الانسان ويشرف • ويزداد رفعة كلما ازداد سعة في الفكر والادراك ، ولا يستقيم أمره حتى يكون فكره مطابقا للواقع وذلك بمعرفة الحقائق على ما هي عليه لينظم في ضوء ذلك اسلوب معيشته وتلبية حاجاته وضرورياته •

وهذه الأداة الدقيقة الحساسة صاحبة المسؤولية العظمى في حياة الانسان — أعني أداة العقل — هي المسؤولة عن تحديد مساره في حياته ، وليس من السهل أن تكلف بهذه الوظيفة الشاقة دون أن يكون في خدمتها ما يساعدها ويسهل لها هذه المهمة • ولذا فقد جعل الله تعالى لها منافذ على العالم الخارجي من حولها الذى هو مسرح عملها ومحل اعمال نظرها وفكرها •

وهذه المنافذ هي التي يعبر عنها العلماء بالحواس الخمس وهي : السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، واللمس • وجميعها تنقل المعلومات الى الدماغ محل التمييز واصدار الحكم •

١ • دور السمع والبصر في خدمة العقل :

وليست هذه الحواس كلها بمرتبة واحدة في تزويد العقل بالمعلومات ، فمنها ذات مدى قريب محدود وهي : الذوق والشم واللمس• وهذه وان كانت لها قيمتها الا انها أقل أهمية في مجال النظر والاستدلال من ذات المدى البعيد وهما حاستا السمع والبصر ، فهما مجاديف العقل في لجج الكون• ومن هنا نلاحظ التركيز العجيب في القرآن الكريم على تحميل هاتين الحاستين المسؤولية مع العقل دون غيرهما من الحواس قال تعالى : (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)(١)

وهما الأداتان اللتان تؤهلان الانسان للابتلاء قال تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) (٢)

---

(١) سورة الاسراء : ٣٦

(٢) سورة الانسان : ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعطيل هاتين الحاستين عن ممارسة وظيفتهما على أكمل وجه بتدخل الهوى وغرائز النفس في تكثيف الحجب حولها يكون هو السبب المباشر في هلاك الانسان وخسرانه قال سبحانه : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون) (١) .

فكان ذلك سببا في الحاقهم بمرتبة البهائم . وبعد تعطيلها مثارا للوم والذم للضالين المكذبين لعدم استفادتهم مما من شأنه ان ينفعهم وينقذهم لو استعملوه . (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) (٢) . واذا أغشيت هذه الحواس وصل الانسان الى حالة لا ينفعه فيها النصح والارشاد ولا التبشير والانذار (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) (٣) .

هذه هي أهمية السمع والبصر . فالسمع ينقل المسموعات الى الدماغ ، والبصر ينقل المرئيات واجتماعها من أقوى المحركات للعقل في مجال النظر والفكر ليتوصل من خلالها الى معرفة كنه الاشياء وحقيقتها .

ولكن هل يمكن لواحدة منها أن تغني عن الاخرى ؟ .

للاجابة عن هذا السؤال لابد من تأمل في تاريخ الفكر البشري ، وهل توصل المفكرون بالاكتفاء بواحدة منهما الى المعرفة ؟ .

ان أبرز الاصناف البشرية التي اعتبرت العقل هو الاداة الفعالة الحاسمة في كشف السبيل امام الانسان صنفان اثنان هما : الانبياء والفلاسفة .

أما الفلاسفة فنستطيع القول بأن المادة التي استقوا منها معلوماتهم وغذوا بها عقولهم لم تتجاوز حد المرئيات غالبا . هب انهم سمعوا من غيرهم من فلاسفة آخرين أو معلمين . . فما عساهم ان يسمعوا غير ما هو مبثوث أمامهم أو خلاصة تجاربهم وفكرهم المبنية على المشاهدة ، فمهما سمعوا فلن يسمعوا غير ما وقع تحت المشاهد المحسوس وممن هو داخل حدود المرئيات .

(١) سورة الاعراف : ١٧٩ (٢) سورة الاحقاف : ٢٦
(٣) سورة البقرة : ٦ ـ ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كان هذا الكون في سعته وعظمته أكبر من حدود ادراك الانسان فلن يصل بالفكر والتأمل المبني على بصر محدود ضئيل الى حقيقة واضحة ، واذا وصل بعض العقلاء الى نتيجة (١) أمثال المأمون الحارثي (٢) ، وقس بن ساعدة الايادى (٣) فلو سلمنا ان هؤلاء لم يتأثروا بتعاليم أنبياء كانوا يسمعون بذكرهم فان هذا لا يعدو أن يكون شذوذا وقع لافراد قلائل . ومع ذلك فلم يصلوا الى يقين كاف ليبلغوا ذلك للناس تبليغ حريص على هدايتهم أو حملهم عليه ولم يكن لديهم من الوضوح ما ينيرون به السبيل ويحاجون به الخصوم .

وان أوضح ما نستدل به على قصور العقل باعتماده على البصر وحده عن بلوغ غاية المنى هو عجز الفلاسفة عن الوصول الى حقيقة تطمئن اليها النفس ويركن اليها العقل وقد أجهدوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم ونشأت لهم المدارس الفلسفية الكبرى وقامت عليها شعوب وأمم مع ما كانوا عليه من النبوغ والذكاء والعلوم والآداب .

وأما الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الفئة الثانية التي خاطبت العقل البشرى وجاءت بأيسر الحلول لأكبر المعضلات الفلسفية فقد مزجوا بين السمع والبصر . أما البصر فهم ـ كبقية العقلاء من البشر ـ قد شغلوا فكرهم بالتأمل فيما حولهم ، وأما السمع ـ وهو السر في هداهم وهدايتهم ـ فقد تلقوا سمعا من خارج هذا المحدود ممن يحيط بكل شيء علما ... ممن لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار .

ولما خاطبوا الناس بهذه الاخبار لم يطالبوهم بتقليدهم دون نظر وفكر ولكنهم اسمعوهم ما سمعوا .. مما لا يمكن للبشر أن يسمعوه من غير هذا الطريق . وأعطوهم المهلة الكافية ليعملوا الفكر وينعموا النظر في تمحيص أصول هذه الاخبار في ضوء مما يشاهدون ليروا ببصيرتهم ـ ان كانوا من ذوى البصائر ـ مدى ما بين المشاهد المحسوس والمنقول المسموع من التوافق والانسجام .

---

(١) انظر: تاريخ الانبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ص ١٣ . محمد الطيب النجار
(٢) انظر: خطبته في جمهرة خطب العرب ١/ ٣٨
(٣) انظر: خطبته في جمهرة خطب العرب ١/ ٣٩ ـ ٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالاكتفاء بالسمع وحده ولو كان المسموع حقا مسلما فهو مذموم لأنه يفضي به الى التقليد دون اعمال الفكر وقد عاب الله تعالى هذا الصنف من الناس: بقوله (انا وجدنا آباءنا على أمه وانا على آثارهم مقتدون) ولهذا فان الانبياء يخاطبون العقول لا العواطف وان خاطبوا العواطف فمع العقل • وأقل ما يمكن في اتباع الرسول أن يسمع كلامه وينظر في حاله ليستيقن من حاله فيتبعه عن تصديق ويقين • قال الامام اللقاني :

وكل من قلد في التوحيد ايمانه لم يخل من تردد

لأن من يأخذ الدين بالتقليد يهون عليه تركه سيما وانه يتعارض مع هوى النفس وصاحب التقليد يحتكم لهواه مع ميله لاطلاق الشهوات • فما كان موافقا للهوى أخذه وأحله محل عقيدة لم تستقر عنده في سويداء الفؤاد •

وخلاصة القول : ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جاءوا الى البشر بما لا يمكنهم الوصول اليه بالجهد البشري وكان خطابهم موجها للعقل عن طريق السمع فيثيرون العقل لفهم ما يدعونهم اليه بما يتفق مع البدهيات التي استقرت في العقول بطريق التجربة والمشاهدة •

وأبرز الأمور التي يحض الانبياء عليهم الصلاة والسلام على ايصالها للعقل هي الايمان بصدق المبلغ ووجود المبلغ عنه وما يتصف به من صفات الكمال •

وهذه هي الاسس التي يستند عليها في تصديق غيرها من الأخبار • اذ المهم أن يكون أساس الايمان مبنيا على اليقين • وكل ما جاء عن هذا الطريق أصبح موثوقا به استطاع العقل أن يدرك كنهه او لم يستطع اذ ان كثيرا من القضايا الغيبية المنقولة عن الانبياء لا يستطيع الانسان ادراكها على ما هي عليه ، ونجد قصور العقل أيضا عن ادراك الحكمة في كثير من الأحكام •

لهذا كانت أشهر القضايا التي يناقش الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاقامة الحجج على صحتها هي :

(١) وجود الذات الالهية وما تتصف به من صفات الكمال •

(٢) انه رسول من عند الله تعالى •

(٣) ضرورة طاعته واتباعه لأن في ذلك تحقيق المصلحة في العاجل والآجل •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كان العقل بالاعتماد على البصر وحده لا يصل الى نتيجة فان الله تعالى رفع الحرج عمن لم يتلق عن طريق السمع شيئا ، مراعاة لعجز الانسان وقصور عقله فلا يكلف الله نفسا الا وسعها قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١) .

من خلال ذلك يتبين لنا سر ضلال الفلسفة اليونانية وخيبتها في الوصول الى طريق السعادة فمات عظماؤهم بحسرة ما جاءت به الانبياء . ومن هنا ندرك بيقين ضرورة البشرية وشدة حاجتها الى الانبياء والرسل ، لانهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى معرفة لا يشوبها جهل ولا ضلال ولا سوء فهم ولا سوء تعبير . ولا سبيل الى معرفة الله تعالى المعرفة الحقة الا ما كان عن طريقهم لا يستقل بها العقل ولا يغني فيها الذكاء ولا تكفي سلامة الفطرة وحدة الذهن والاغراق في القياس والغنى في التجارب " (٢) .

" وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة وهم أهل الصدق وأهل التجربة وقد أعلنوا ذلك في مقام صدق كذلك فقالوا : " الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله " وقرنوا هذا الاعتراف والتقرير بقولهم : " لقد جاءت رسل ربنا بالحق " فدل على أن الرسل ومعجزتهم هي التي تمكنوا بها من معرفة الله تعالى وعلم مرضاته والعمل بها حتى تمكنوا من دخول الجنة والوصول الى دار النعيم ..... (٣)

ماهي مميزات أدلة الانبياء ؟

ان الحجج التي أثارها الانبياء عليهم السلام مع أقوامهم لم يصل الينا شيء منها بيقين غير ما جاء في القرآن الكريم وتعد هي بذاتها عين الادلة القرآنية ، فالحقائق التي جاء القرآن لاثباتها هي عين الحقائق التي دعا اليها الانبياء ، فالحق واحد لا يتعدد ، ثابت لا يتبدل ، وكلها تخرج من مشكاة واحدة ، مشكاة النور الالهي فدراستنا لمميزات الادلة القرآنية هي ذاتها دراسة لمميزات أدلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولماذا لم يسلك القرآن طريقة الفلاسفة ؟ وطريقة المتكلمين ؟ .

قبل الاجابة عن هذا السؤال لابد من معرفة الغاية من اثارة القرآن للحجج والادلة العقلية ، تلك التي تحدد السبيل الموصل اليها .

---

(١) سورة الاسراء آيه ١٥

(٢) انظر : النبوة والانبياء في ضوء القرآن ، للندوى ص ٢٦

(٣) النبوة والانبياء في ضوء القرآن الكريم للندوى ٢٦ ـ ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان القرآن وان كان يقدم حقائق قطعية الثبوت لا يريد أن يلقن العقل بها تلقينا وهو الذى كرم العقل وأحله مكانا رفيعا .. وقد قدمنا ان ما أخذ بتلقين دون رويـــة وتمحيص سرعان ما يتبدد أو يكون عرضة للانهيار والزوال امام أية موجة من الشبهات والأهواء .

ولذا فاننا نرى القرآن يوجه خطابه للعقل لتستقر فيه هذه الحقائق بعد اشباعها بالبراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة لتقف طودا راسخا امام كل الاعاصير المغرضة والشبهـــات المزلزلة ولتأخذ صفة الثبات والتأثير والاستمرار .

ولا يخفى ما في ذلك من المراعاة للطبيعة البشرية التي تتنازعها حاجات وغرائـــز وأهواء ومغريات، والانسان في رحلته على هذه الأرض يعيش محنة ابتلاءات وقوى تتجاذبه كل الى جهتها وأكثرها ضرورة واهمية هي العقيدة فلا بد أن تكون أكثر رسوخا وتأثيرا فـي حياة الانسان من غيرها ، ولهذا كان لازما أن تؤخذ بقوة وصلابة حتى لا تقوى عليهـــا النوازع الأخرى ، فهي قادرة على تنظيم تلك الغرائز والحاجيات ، وتلك عاجزة عن الوفـاء بحقها .

فهذه واحدة ، ذلك ان الحقائق لابد أن تؤخذ بقناعة ويقين لتقوم بها الحجة على المكلفين .

ولما كانت المطالبة بهذه المعرفة المفضية الى الهداية عامة للجميع وضرورة للجميع فلا تغني هداية أحد عن أحد ، وكل شخص مكلف بمعرفة الحقيقة والاهتداء بنورهـــا وان تفاوتت المراتب العقلية لدى الناس. ولا يتم ذلك الا اذا كان الخطاب متناسبا مـــع المستويات البشرية ، فكيف تقام الحجة على فئة من الناس باقناع فئة أخرى . اذ وصـــول الحكماء مثلا الى ادراك الحقيقة لا يعني ادراك العامة واقامة الحجة بالبراهين العلميـة الواضحة لدى المتعلم لا يتم بها اقامة الحجة على الأمي فلا بد لكل فئة من براهيـــن تخاطب عقولهم وتتناسب مع مستوى مداركهم . **وهذه الثانية**

فالغاية اذن هي اقامة الحجة أولا ، وعمومها للمستويات البشرية كافة وان تفاوتت مراتبهم ثانيا .

ثانيا : <u>أدلة الفلاسفـة :</u>

اذا كانت هذه هي الغاية فلننظر في أسلوب الفلاسفة هل يحقق هذه الغاية ؟

سلك الفلاسفة مسلكا عقليا لمعرفة حقيقة الكون والانسان والحياة معتمدين فيـــه على النظر والمشاهدة والتجربة ، ولما كان العقل البشرى محدودا لا يدرك ما وراء هذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ، ولئن استطاع ان يدرك ان وراء هذه المادة قوة فاعلة لكنه سيقف حائرا امام حقيقة هذه القوة وصفاتها وصلتها بالكون . وهل انقطعت هذه الصلة ، وهل يمكن تحديد نوعها أو لا يمكن (١) ، فيقف امام هذه الالغاز والاسئلة حائرا لاهو بالغ أمرا يرضيه ولا قعد به الفكر عن البحث دون الوصول الى حقيقة ثابتة ولا انقطع طمعه عن ادراكها ؟ .

ولقد رأينا ان الفلاسفة عجزوا عن معرفة ما وراء المادة وان كانوا قد قطعوا شوطا عظيما في سبر غورها فصنفوها وحددوا حدودها بجهد لا ينكر (٢) .

حتى نعطي فكرة واضحة مختصرة عن هذا الفن قبل ان نبين اسباب اخفاقه في الوصول الى الحق واليقين ننقل كلام ابن خلدون حيث يقول : " هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات وذلك ان الاصل في الادراكات انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره ، وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات ، وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في الخيال من الاشخاص المتفقه صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي، ثم ينظر الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة وأشخاص أخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق أيضا عليهما باعتبار ما اتفقا فيه، ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذى لايجد كليا آخر معه يوافقه فيكون لأجل ذلك بسيطا " (٣) ثم يمثل لذلك فيقول : " وهذا مثل ما يجرد من أشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليهما ، ثم بينهما وبين النبات الى أن ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه في شيء فيقف العقل هنالك عن التجريد " (٤) .

ثم يقسم العلم الى تصورات وتصديقات فيقول : " ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذى به يدرك العلوم والصانع وكان العلم اما تصورا للماهيات ،

ويعني به ادراك ساذج من غير حكم معه ، واما تصديقا : أى حكما بثبوت أمر لأمر فصار سعي الفكر في تحصيل المطلوبات اما بأن تجمع تلك الكليات بعضها الى بعض على جهة التأليف فتحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على أفراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص . واما أن يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لأن فائدة ذلك اذا حصل انما هي

---

(١) انظر: أبجد العلوم للقنوجي ٢/٤١٦ (٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص٤١٠ـ ٤١١ (٤) المصدر السابق نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الفصل الثانـــي الحجج العقلية لابراهيم عليه السلام على قومه	٩٣
أ٠ المبحث الأول ابطال عبادة الكواكب	٩٤
١٠ الآيات الكريمات	٩٥
٢٠ عقيدة قوم ابراهيم عليه السلام	٩٥
٣٠ هل كان ابراهيم عليه السلام ناظرا أم مناظرا ؟	٩٦
٤٠ الحجج التي تضمنتها هذه الآيات	١٠١
ب٠ المبحث الثاني ابطال عبادة الاصنام	١١١
المقصد الأول : المحاجـة الخاصة من ابراهيم عليه السلام لأبيه	١١٢
١٠ الآيات الكريمات	١١٣
٢٠ ادب ابراهيم عليه السلام في محاورة أبيه	١١٣
٣٠ الحجج التي احتج بها ابراهيم عليه السلام على أبيه	١١٤
المقصد الثاني : المحاجة العامـة	١١٩
محاجة ابراهيم عليه السلام لأبيه وقومه	
١٠ القاعدة الأولى : مسلك الهدم	١٢٠
الآيات الكريمات	١٢٠
أدلة ابراهيم عليه السلام	١٢٠
جواب القوم واحتجاجهم بالتقليد	١٢٤
الرد على هذه الشبهة	١٢٦
قيمة هذا الرد	١٢٨
جد لا لعب	١٢٩
عداوة الالهة الباطلة لعابديها	١٣٠
الدليل الحسي الالزامي	١٣١
٢٠ القاعدة الثانية : مسلك البناء	١٣٥
الدليل الأول : دليل الايجاد	١٣٥
الدليل الثاني : دليل الامداد	١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــوع	رقم الصفحة
ج٠ المبحث الثالث ابطال الوهية البشر	١٣٩
٠١ الآيات الكريمات	١٤٠
٠٢ من هو الذى حاج ابراهيم عليه السلام ؟	١٤٠
٠٣ الحجة التي أوردها ابراهيم عليه السلام	١٤١
٠٤ المعارضة الفاسدة	١٤١
٠٥ الحجة الدامغة وقطع الشغب	١٤٣
الفصل الثالث الحجج العقلية لموسى عليه السلام	١٤٥
تمهيـد	١٤٦
أ٠ المبحث الأول: موسى مع فرعون وملئـه	١٤٩
المقصد الأول : حول رسالة موسى عليه السلام	١٥٠
٠١ الآيات الكريمات	١٥١
٠٢ اعلان الرسالة والقول اللين	١٥١
٠٣ امتنان فرعون ، جوانبه وأبعاده	١٥٣
٠٤ تعقيب في شبهات فرعون وقومه على الرسالة	١٦٠
(١) الشبهة الأولى	١٦١
(٢) الشبهة الثانية	١٦٣
(٣) الشبهة الثالثة	١٦٤
(٤) الشبهة الرابعة	١٦٥
المقصد الثاني : حجج موسى عليه السلام على وحدانية الله تعالى وابطال ربوبية فرعون المزعومة	١٦٧
٠١ الاستدلال بالخلق والتدبير	١٦٨
عقاب الله ثابت للمكذبين عاجلا أو آجلا	١٦٩
تفصيل بعد اجمال	١٧١
٠٢ الاستدلال بالملك وشموله	١٧٢
مؤمن آل فرعون	١٧٥
موانع فرعون من الاقدام على قتل موسى عليه السلام	١٨٢
ب٠ المبحث الثاني : الحجج العقلية لموسى عليه السلام على قومه	١٨٤

الموضـــوع	رقم الصفحة
أولا : طلب بني اسرائيل الها .	١٨٥
ثانيا : اتخاذ العجل الهـــا .	١٨٨
دليل بطلان الههم في نفسه	١٨٩
جدال موسى مع قومـــه	١٩٠
جدال موسى مع أخيه هارون عليهما السلام	١٩٤
جدال موسى عليه السلام مع السامرى	٢٠٠
ثالثا : الامر بدخول الارض المقدسة	٢٠٤
رابعا : الامر بشكر الله تعالى وعبادته ، والاحتجاج على ذلك بموجباته ودواعيه	٢١١
الفصل الرابع : الحجج العقلية لعيسى عليه السلام	٢١٤
المبحث الاول : ما جاء في القرآن من كلام عيسى عليه السلام لقومه وما يتضمنه من حجج	٢١٥
أولا : تمهيد	٢١٥
ثانيا : ما أنطقه الله تعالى به في المهد وحجيته على قومه	٢١٦
ثالثا : كلام عيسى عليه السلام لقومه بعد الرسالة وتأييده بالمعجزات	٢١٨
رابعا : احتجاج عيسى عليه السلام على قومه في الآخرة	٢٢٢
المبحث الثاني : موقف النصارى من المسيح عليه السلام والرد عليهم .	٢٢٧
أولا : أقوال النصارى في عيسى عليه السلام	٢٢٧
ثانيا : الرد على النصارى في مزاعمهـــم	٢٢٩
الفصل الخامس : الحجج العقلية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الامم	٢٤٢
المبحث الأول : الاستدلال على وحدانية الله تعالى ووجوب عبادته	٢٤٣
أولا : تمهيـــد	٢٤٤
ثانيا : الادلة على وجود الله تعالى	٢٤٥
ثالثا : الادلة على وحدانية الله تعالى بالخلق والايجاد	٢٥٦
رابعا : الادلة على وحدانية الله تعالى بالملك والتدبير	٢٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit